وكان الاعلام العربي ... رصينا !!

ان مسحة « الرصانة » و «الموضوعية» التي ظهر بها الاعلام العربي خلال المعركة على ما فيها من مظهر « حضاري » و « متقدم » ومختلف كليا عما كان في حرب حزيران .. يجب الا تخفي الحقائق الموضوعية حول بعض الادوار البالغة الخطورة التي مارستها اجهزة تشكل ثقلا رئيسيا في ذلك الاعلام .

لقد فرح الاعلاميون العرب كثيرا بحلتهم « الموضوعية » «الرصينة» وتباهوا اكثر بالفارق بينها وبين حلة ١٩٦٧ .. وهذا الفرح وذلك التباهي زادا عن حدودهما ، حتى لصارا يدفعان الى الشك ببراءتهما قياسا على مقولة « كاد المريب ان يقول خذوني » ..

فالخطأ في اعلام حزيران لم يكن شدة حرارته ولا توجهه نحو الجماهير ، وانما كان محاولته قلب الحقائق راسا على عقب . واذا كان اعلام تشرين يريد ان يتقدم على اعلام حزيران ، فكان عليه ان يعتمد الصدق والموضوعية الحقيقية ، لا ان يتجاهل ذلك ليختلف عن حزيران ببرودته فقط وبتجنبه التوجه الى الجماهير واهمية دورها بشكل رئيسي ..

والملاحظ فعلا ، ان اعلام تشرين خلال الانتصارات العسكرية ما كان في حاجة الى الكذب ، اما عندما بدا « الكلا كلا » فانه لم يقصر ابدا .. حتى قيل فيه « لقد كان اعلام معارك شرقي القناة تشرينيا في حين كان اعلام معارك غربي القناة حزيرانيا » !

وفي كلا الحالتين ، كان الاعلام منسجما مع طابع القيادة السياسية للحرب من حيث خوفه من دور الجماهير وتجنبه كل ما يؤدي الى نهوضها وتعبئتها .. وغطى ذلك كله بمباهاته المكرورة حول « الرصانة » و « الموضوعية » والبعد عن منطق اعلام حزيران !!

ومع ذلك يبقى هذا الخلل ضمن اطار «الصغائر» من الخطايا ، خاصة وان اكثر الاعلام العربي هو اعلام تابع للانظمة بهذا الشكل او ذاك ، وبالتالي محكوم بقوانين « صورتها ومثالها » !!

الا ان الادوار الاشد خطورة تتوضح لدى الدخول في التفاصيل :

اولا : كان واضحا منذ البداية ان اقدام حكومة الولايات المتحدة على التدخل في المعركة ، سوف يلاقي بعض العراقيل الداخلية في بعض اوساط الشعب الاميركي الذي لم تندمل بعد حروقه الكبرى التي زرعها فيه تورط حكومته في فيتنام . وكم كانت مدهشة نوبة «الوطنية» و «اليسارية» التي اصابت بعض اجهزة الاعلام العربية التي كانت محاور جهدها الرئيسية قبل المعركة ، ان تقلل من اهمية الدعم السوفياتي للعرب والتشكيك بصداقته لهم ، وبأسلحته غير الكافية كميا وغير المجدية نوعيا .. الى ما هنالك .. فاذا بهذه الاجهزة بعد « النوبة » المفاجئة ، تتحول الى التطبيل والتزمير للمساعدات العسكرية السوفياتية « والتورط السوفياتي المباشر » – على حد تعبير احد تلك الاجهزة .. والى ثقل وطول وعرض الجسور الجوية بين موسكو والعواصم العربية .

وطبعا « خفي » عن مسيري هذه الاجهزة ، ان اجهزة الاعلام الاميركية كانت ذكية (فهم لا يعرفون الاجهزة الاميركية ولا يمتون اليها بصلة ؟؟) .. فراحت تترجم ريبورتاجاتهم السخية عن «التورط السوفياتي » .. لتقنع المواطنين الاميركيين بان « المسكينة اسرائيل » لا تحارب كذا دولة عربية فقط ، وانما ايضا تحارب الاتحاد السوفياتي كله مدافعة عن العالم « الحر » في وجه موجة « غزو » شيوعية حمراء !!

هذا المذهب في التفسير كان يمكن اهماله ، وتبرير مواقف تلك الاجهزة ، بانها جزء من المراجعة الذاتية ، امام شعور الامتنان ، العميق الذي عم قلوب جماهير هذه الامة تجاه الدعم السوفياتي الصادق لمعركتها .. لولا ان هذه الاجهزة نفسها ، قد عادت من جديد الى محاولات تحميل الاتحاد السوفياتي وصداقته واسلحته مسؤولية النتائج المبتورة للقتال العربي الباسل . فكان طبيعيا ان يعود التفسير الخبيث الى الاذهان .. وتعود الكثير من الموضوعات الاعلامية الصارخة ايام الحرب ، الى الذاكرة .

وعلى سبيل المثال : في الايام الاولى للقتال .. صرح بنحاس سابير وزير مالية العدو ان خسائر اسرائيل بالعتاد قد بلغت ملياري دولار .. وبعد ان فقع هذا التصريح ورددته كل اجهزة الاعلام الصهيوني والمتصهين في الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة ، حط الوزير الاسرائيلي رجله في الطائرة ، وسافر الى بلاد العم سام لجمع التبرعات لاسرائيل «الفقيرة ، الغلبانة» كي تتمكن من مواجهة العرب الذين يملكون ما لا حد له من الاموال . والاموال عصب الحرب كما يقولون .

وبالضبط يوم وصول سابير الى الولايات المتحدة وشروعه في « الشحادة » ، طلعت علينا احدى الصحف البيروتية المشدودة بحبال « الموضوعية » و « الايجابية » و « الرصانة » الى اكثر من جهة !! بنبأ عن الكرم العربي الحاتمي عند حكام البترول : يقول ان السعوديه قد دفعت الى سوريا مبلغ مليار دولار نقدا وعدا ..

كدنا نصدق ذلك ، ونؤاخذ انفسنا على تقصيرنا في المسارعة الى مدح حكام السعودية والتسبيح بشكرهم وحمدهم .. لولان تتالت الايام وتكشف انه لم يصل قرش واحد من ذلك المبلغ الى دمشق مع انه كان يجب ان يصل حتى ولو كان المبلغ متوجها من الرياض سيرا على الاقدام ..

وامام تأخر المبلغ المذكور «التائه» في الصحاري .. اضطررنا مرغمين لاستذكار النبأ ، وكيف نقل في اليوم نفسه عن الصحيفة « المصون » ليملأ الصفحات الاولى من اجهزة الاعلام الاميركية مستثيرا متمولي اميركا « للاحسان » على سابير المسكين الذي جعل ذلك الخبر الحاتمي العربي عكازه !

ثانيا : خلال الايام الاولى للقتال ايضا سارعت كل القوى المقاتلة في هذه الامة لصب قواها في المعركة ، وحتى القوى غير المقاتلة فعلت شيئا من ذلك .. وكان هذا امرا طبيعيا ، فاهم ما حققته هذه المعركة هو اثبات حقيقة وجود هذه الامة ووحدتها ، بعد ان كاد « غربان » هزيمة حزيران يفرغون من نعيها ..

فماذا كان موقف الاعلام التشريني «الرصين» و « الموضوعي » و « المتحضر » ؟ كان ، ان يجري التصفيق بأثقل الاكف ويعلو الهتاف باغلى (!) الحناجر .. للمشاركات الرجعية الرمزية التي تركت الجبهة الاردنية حيث هي مؤهلة للقيام بدور يؤذي العدو ، لتأتي الى الجبهة السورية فتقعي الى الخلف من القتال ، حيث لا يعرف غير الله ما تبتغيه بالاضافة الى تغطية السماوات بالقباوات !!

ثم لا احد يسمع او يدري بقيام جمهورية اليمن الديمقراطية باغلاق مضيق باب المندب ، الا فيما بعد وقف اطلاق النار ، وعلى لسان مندوب العدو في الامم المتحدة يوسف تكواه !! علما بان حصار ذلك المضيق ليس اقل خطرا واهمية من حصار مضائق تيران في خليج العقبة عام ١٩٦٧ ..

وكذلك فان مشاركة العراق والجزائر التي فرضت نفسها على اجهزة الاعلام المشار اليها كانت تذكر بالكثير من الحياء والخفر « والرصانة » و « الموضوعية » !!

ثالثا : قبيل وقف اطلاق النار – وكانت سيرته قد انفتحت في الكواليس والمشار اليهم من رجال الاعلام الرصين لهم حاسة شم قوية – كان يخشى من معارضة الجماهير القوية لمثل ذلك القرار ..

فكان لا بد من تجريد حملة تخويف كبيرة من متابعة الحرب .. وبقدرة قادر توفرت لاجهزة الاعلام الشديدة « الرصانة » عشرات الريبورتاجات المصورة حول الاسلحة الاميركية المتطورة التي تصل لاسرائيل والتي لا يقف على ضرباتها طبيب ، والقادرة على مسح الارض بكل ما بين ايدي العرب ، وما ليس بين ايديهم من اسلحة سوفياتية قديمة او متطورة .

ولم ير الاعلام الرصين غضاضة في الانتقال من ريبورتاجات اسلحة الدمار الاميركية المرسلة الى العدو لقهر امتنا وجماهيرها ، الى الاشادة بغفران الانظمة لخطايا واشنطن ، وعبقرية عدم قطع الحوار معها ، التي سوف تدفعها الى الصيرورة صديقة الكل بدل البقاء صديقة اسرائيل وحدها (اخر « تفنكات » ذلك الاعلام) .

وكان اعلام تشرين « مفخرة » للرصانة » « والتطور » « والتحضر » « والتكنولوجيا » .. حتى ان اصحابه راحوا يقارنون بين قدرتهم على استيعاب معطيات الاعلام المتطورة ، مع قدرات المقاتلين الذين اقتحموا خطوط العدو ، على استيعاب السلاح وفنون القتال .. اذا لم نقل ان البعض راح يزايد على اولئك المقاتلين في هذا المضمار !!

فلتحي « الرصانة » و « الموضوعية » وليحي « التحضر » ■■